بينما أفكر في موضوع أتقدم به للمشاركة ، لاحظت أن نسبة المشاركين في مؤسسة تعتبر الأفضل بشمال إفريقيا لا تزيد عن 12.1% ، أي 45 تلميذا من أصل 372 واحدا ممن يعتبرون نخبة تلاميذ المملكة، فتبادر إلى ذهني السؤال التالي : إذا كانت غالبية "المتميزين" لم تفكر بإعطاء مغرب الغد وقتا ؛فليس غريبا أن يتغاضى الكثيرون عن المشاركة ، ففكرت ... إذا أردنا مغرب الغد، مغرب النماء و التطور فعلينا الرجوع إلى البذرة و رعايتها و توفير الشروط الملائمة لها ،ذلك أننا إذا دعَّمنا المجتمع و قوَّمناه منذ الصغر فسنتجنب مواجهة عدة مشاكل مستقبلا، بمعنى آخر النهوض بالمغرب رهين بنهوضنا بأطفاله ، فما علينا القيام به هو التركيز على كيفية تنشئتنا للأطفال ليصبحوا شبابا واعين قادرين على قيادة المستقبل و التأثير فيه، ولا يكون شغلهم الشاغل هو إكمال دراساتهم من أجل الحصول على وظيفة ! يجدر بنا أن نكون قد تجاوزنا هذه المرحلة ، أن يكون هدف الشاب و طموحه لا يقتصران على إيجاد مصدر للدخل القار فقط بل يجب أن تكون له غاية أسمى من ذلك أن يكون لشبابنا مخططات لتطوير بلدهم وأن يحاولوا رد ولو القليل لهذه البلاد التي وهبتهم الكثير .و الآن السؤال الذي سوف تطرحونه هو : كيف سنعمل على تنشئة الأطفال ليكونوا قادة المستقبل ؟

إنه أمر بسيط! فالأطفال كالمعدن المصهور و يمكننا تشكيلهم كما نشاء ، و كما نعلم فالإنسان يبدأ بالتشكل في عمر صغير جدا وتشكله يعتمد على محيطه ... أي الأسرة ، و بما أننا في "عصر السرعة" فنحن نلاحظ أن الوقت الذي صار يخصصه الآباء لأبنائهم ليس بالكافي إطلاقا ! ففي زمن ليس بالبعيد كنا نجلس مع والدينا و أجدادنا فكان أجدادنا يحدثوننا عن المغرب كبلد الثروات و الخيرات، و بالأخص تلك القصص التي كنا نحبها ! قصص المقاومة و محاربة الاستعمار ، نعم قصص أولئك الذين لم ينتظروا أن تعطيهم البلاد ليعطوها دماءهم و يهبوها أرواحهم ، كانت تلك القصص تحرك الوطنية في قلوبنا و تشعل في نفوسنا نار الغيرة على وطننا، و كان آباؤنا كذلك يحدثوننا عن ما يجدر بنا فعله مع تقدمنا في المراحل العمرية كالاجتهاد و حب الوطن و السعي وراء أهداف نبيلة فكان حلمنا غالبا أن نكون أطباء لإنقاذ الناس.

لكن و كما قلت لم يعد هذا واقعنا بل صرنا بالكاد نحاور آباءنا إمّا لأننا نكون في الدوام المدرسي ،أو لأنهم في العمل. و من هنا يمكن أن نقول إن الدور الذي كان يلعبه والدانا في توجيهنا؛ أصبح قليلا أو منعدما ! فلذا يجب أن نعطي هذا الدور لشخص سيصادفه الأطفال في المجتمع الثاني الذي سيعرفونه مباشرة بعد

الأسرة ... المدرسة ... لو استطعنا إرشاد الأطفال إرشادا صحيحا في مرحلة عمرية مبكرة ؛ في تلك المرحلة التي لايزالون حينها مستعدين لتقبل الإرشاد سنضمن أطفالا متحصنين ضد إغواءات الشارع . حتى يتضح مرادي سأطلب منكم تصور مستشار تربوي واحد بالمؤسسة، واحد فقط، مستشار متخصص في فهم شخصيات التلاميذ والتعامل معها، و مستعد للإصغاء إلى مشاكلهم و مساعدتهم على حلها و هديهم إلى السلوك الأمثل الذي ينبغي القيام به و دعوتهم إلى الإقلاع عن التصرفات الخاطئة، تصوروا أن كل تلميذ يقترف ذنبا فيحال إلى هذا المستشار فيخرج من تلك المقابلة شخصا آخر تماما ، أليس هذا رائعا ؟ كل ما علينا فعله هو الإيمان بأن كل شخص قادر على التغيير إلى الأفضل وأنه يحتاج فقط لإعطائه فرصة أخرى ، بينما إن تلقى هذا الطفل عقابا جسديا فإما أن يعيد الكَرَّة و إما أن يتجنبها خوفا من العقاب ثانية، و هذا ما لا نريد فإننا بذلك لم نره الجانب الذي عليه رؤيته و قد نقع في مشكلِ أنّ الطفل قد يكبت مشاعر سلبية تجاه المدرس أو ربما تجاه مدرسته أو حتى نظرة حقد للمجتمع و الأسوأ أن يحولها إلى نظرة كره للحياة برمتها ! أنا لا أتكلم من فراغ فالجميع يعلم شعور الشخص من تلقي عقاب لسبب لم يكن له يد به أو لا يستطيع منع حدوثه أو ما شابه ، قد أسألكم سؤالا : لو كنتم طفلا بالصف الأول مثلا و طلب منكم الأستاذ إحضار شيء ما كمعدات التربية التشكيلية مثلا، فأخبرتم أباكم أن يحضره لكم فامتنع عن ذلك لحجة أو لأخرى ؛ فعاقبكم الأستاذ و أنتم تعلمون أنكم لم تستطيعوا توفير ما طلبه وأنكم - طبعا - لو كان الأمر بمقدوركم لقمتم به ! هذا سيناريو من بين العديد الذي يتكرر من مدرسة لأخرى ، طبعا لو لم تكن لكم شخصية قوية كفاية و كذلك إيمان قوي بالله لما تقبلتم ذلك الوضع و لأخذتم ذكرى سيئة عن مساركم الدراسي - لهذا نجد العديد من التلاميذ الذين طفح كيلهم من هذا كله فيتركون الدراسة فيجدون الشارع مأوىً لهم بكل ما يحمله من مصائب (مخدرات ، سرقة ، رفقاء السوء و غيرها)... إلى هنا نكون قد خرجنا بما مضمونه أن مغرب الغد يجب أن يحل المشاكل من جذورها و كما أسلفنا الذكر فمستشار تربوي متخصص واحد بكل مؤسسة سيكون حلا ناجعا لمعالجتها قبل تفاقمها -

هذا من جهة ؛ و من جهة أخرى فقد لاحظت من خلال تجربتي ببرلمان الطفل المغربي و العربي أهمية مراكز تكوين الأطفال فهذه الأخيرة تلعب دورا بارزا في تنشئة الطفل على المبادئ الفضلى ليصيروا قادة المستقبل ، فالطفل المتدرب بهذه المراكز يكتسب شخصية قيادية وطموحة ، كما يتربى على روح المواطنة النشيطة لنخلص بشاب مغربي ملتزم بهويته الوطنية؛ يخدم المجتمع المغربي و كذا الدولي . الآن قد تطرحون السؤال : كيف لهذا الطفل أن يخدم

المجتمع؟ ستقوم هذه المراكز التي يشرف عليها متخصصون في تكوين الأطفال كخبراء التربية والتنمية البشرية و الألعاب الرياضية بتأطير هؤلاء الشباب و تكوينهم مستخدمين وسائل متطورة تكنولوجياً و بيداغوجيات أثبتت نجاعتها ؛ في إطار **الإبداع و الابتكار و الإشراك** (وأقصد هنا بالإشراك ؛ إشراك أصحاب العلاقة في صنع القرارات التي من شأنها دعم العمل المؤسسي كأولياء الأمور ، و مؤسسات البحث العلمي ، و الجهات الحكومية و الخاصة المعنية، ووزارة التعليم و غيرها) **و التأثير و المواطنة و الاستدامة** ،ليتشبعوا بأهمية الحفاظ على ثروات بلادهم و السعي لتطويرها و الأهم ترسيخ أهمية **العمل التطوعي** و **العمل الجمعوي.** نعم ، فتعزيز أهمية العمل التطوعي في نفوس المواطنين حل للعديدٍ من المشاكل التي لا يمكن حلها إلا به، تصوروا معي مجتمعا تسوده الأخوة و التضامن طبعا فسيكون مجتمعا مستعدا لمواجهة كل الأزمات تقريبا، فمثلا لو هاجمتنا جائحة كالتي نمر بها حاليا فسيسهل علينا توفير الطعام للعائلات المعوزة، و سيتبرع كل من يستطيع بالمال أو بالمعدات الطبية أو أي شيء يمكن أن يساعد بما في ذلك حياته ... إلى الآن نكون قد توصلنا إلى أهمية تربية الناشئة على العمل التطوعي و نكون قد كوّناهم جميعا وأنا أقصد جميعا حرفيا أي بما في ذلك ذوو الاحتياجات الخاصة.

ختاما، أريد أن أصرح بدافعي لعدم اختياري لمشروع قد يضم فكرة بناء طرقات، أو إنشاء مدارس، أو بناء مستشفيات، أو تعزيز البنيات التحتية، أو توزيع مساعدات على الفقراء ، أو تحسين جودة التعليم، أو رفع الأجور ...إلخ. **أولا** لأن الجميع يعلم ذلك، **ثانيا** لأن الحكومة لا تنتظر من شاب أن يخبرها بأن عليها ذلك ، لأنها تعلم ذلك طبعا فلها خبراء متخصصون في التخطيط ، إنما الدافع الذي أعتبره الأقوى هو أن هذه المسابقة على حسب ظني وضعت لجمع المشاريع التي يراها الأطفال مناسبة لهم أعني "مغرب الغد" من منظورهم الخاص كأطفال و شباب، فمن منا لم تخطر له فكرة إنشاء مدينة طبية مجهزة بأحدث الوسائل الطبية تعتمد على الطاقة الشمسية كليا مشيدة وسط الصحراء المغربية مرتبطة بشبكة سكك حديدية لقطارات فائقة السرعة تنقل المرضى في أوقات قياسية مع مجمعات سكنية تأوي الأطباء و الموظفين و بنية تحتية مدعمة حتى نعلن بذلك بزوغ فجر جديد لقطاع الصحة بالمغرب و العالم بأسره ... أعلم أن هذه أفكار تبدو مثالية للغاية لكنها في النهاية تخدم قطاع الصحة لا غير ،بينما ما تقدمت به فهو مشروع لا يعطي ثماره بعد عام أو عامين لكنه عندما سيفعل سيكون الجميع راضيا به و أنا واثق من ذلك .